

السبت 19-07-2008

323- جدوى الكتابة: بين دموع الشعب ونفاق الحكومة

تعتة

في 30 أغسطس 2006 كتبت في هذه الزاوية بعنوان "الحرب والجدية والاستسهال"، عثرت على هذه التعتة أثناء بحثي عما سبق أن كتبتة في هذا الموضوع، دهشت لأني وجدت أنني كتبت كل ما كنت أود أن أكتبه اليوم، ما الحكاية بالضبط؟

شعرت بخيبة أمل بالغة، وقدرت أنني لو لم أعتز على هذه التعتة لكتبت ما سبق كتابته بالحرف الواحد، هل أعتب على الزهايمر الزاحف في الخفاء؟ كيف نسيت ما كتبت هكذا؟

لكن إذا كان عذري هو هذا الاحتمال الذي يسمح به سخي، فما عذر القراء وأنا واثق ، وأراهن أن أحدا منهم لا يذكر تلك التعتة أصلا، ربما لأن كل ما يكتب ليس له أي أثر باق، وكل وظيفته - على ما يبدو - تنتهي عند التنفيث، أو المشاركة من الوضع متفرجا، أو الاحتجاج على غموض الموضوع، ثم يروح كل واحد في سبيله، الكاتب يعيد الكتابة، والقارئ يعيد المصممة، والحكومة "طناش".

هممت أن أقوم باختبار عملي لهذا الاحتمال، "أن أحدا من القراء لن يكتشف التكرار إذا نشرت التعتة القديمة بالحرف الواحد"، **قلت لنفسي**: والله فكرة، ولها فائدة أخرى هي أن أوفر وقتي أنا أيضا، إشعني أنا؟ ألسنت من هذا الشعب؟ وبالتالي فلا ضير عليك (ما زلت أحدث نفسي) أن تعيد التعتة نفسها، فجأة ضبطت نفسي أمارس نفس الاستسهال الذي بدأت الكتابة لأنهي عنه، راجعت نفسي قائلا: إذا كانت المسألة هي استسهال هكذا حتى أسارع بالنزول إلى البحر تهدئة لزحف الزمن إلى جسدي وفكري، ورشوة لأجدادى المائيين، ("كل من انفصل عن أصله، يطلب أيام وصله")، وإذا كان ما سبق أن كتبتة لم يصل منه ما يدل على جدوى الكتابة أصلا، لم يصل لا إلى مسئول، ولا إلى طالب، ولا إلى أسرة، ولا إلى الإبن إبراهيم عيسى نفسه. أنا واثق أنه لو كان قد وصل إلى وعي الإبن الصديق إبراهيم، وظل يتذكره، وهو المتحفز أبدا لتعرية سلبيات شعبنا بالحق والباطل مثلما يعرى الحكومة وأكثر، لكان أمر بمنع نشر هذه الدموع في الدستور بالذات على

أيام متعددة متتالية هكذا، ولأقدم على تعرية هذا الحوار السطحي المغرض الجارى على أدنى مستوى من المسئولية بين عواطف رخوة، وحكومة راشية مهزوزة.

كثبت في التعتعة القديمة ما يلي:

"كنت مشاركا في برنامج تليفزيوني ... صرح فيه سياسى رسمى متحمس، (من لجنة السياسات)،...، أن السياسة هي "العمل على إرضاء الجماهير"، وبجهلى المعتاد حاولت أن أجتهد فقلت: بل إن السياسة هي "فن أو علم تحريك الجماهير لصالحهم .

لكن مرور الزمن ثبت أن كلامه طبعاً هو الأصح، (كما أثبت الواقع حتى سايرته المعارضة أيضاً)، أليس مسئولاً في لجنة السياسات؟

وصلنى بعض مضى كل هذه السنين أن "الميل" الخاص، بي الذى ينشر كل أسبوع في الدستور مع التعتعة، هو بمثابة ديكور لا أكثر، حيث أنه لم يصلنى عن طريقه أى تعليق منذ سنوات، فقررت أن أنشر نفس التعتعة في "موقعى الخاص" بعد نشرها في الدستور بيومين (يوم السبت من كل أسبوع)، فجاءتني تعليقات دالة على ما نشرت هنا من أسبوعين ورأيت أن أفتطف من هذه التعقيبات (مع ردى عليها) ما يلي :

هالة حمدى البسيونى

"حتى الامتحانات لو كانت صعبة، فالمشكلة في التصحيح وتوزيع الدرجات".

الرد:

طبعاً لا، لا أوافق.

هى ليست مشكلة التصحيح ولا توزيع الدرجات، هى مشكلة أننا لا نعرف معنى الامتحان أصلاً ولا وظيفته، فضلاً عن أن الصعوبة هى على "ناس ناس"، وهذا هو ما يثير "الناس اللى تحت"، وهذا ما عنيته بغياب العدل،... كما أن المعارضة انتهزتها فرصة للتمادى في التهيج وكأنها قضية سياسية، في حين أن الحكومة راحلت تتراجع وتعتذر بحجة بليغة، فضاعت كل القيم في بركة عواطف رخوة، وعمى حيسى.

إسلام إبراهيم أحمد

"دموع الآباء تعطى الأبناء مبرراً للفشل؟ بدل أن يحملوهم أكثر شرف التحدى وتحمل المسئولية".

الرد:

طيب ودموع الأبناء والبنات؟ ودموع المعارضة ومحنة المستقلين، لم يبق يا إسلام إلا أن يصوروا دموع الوزراء والسيد الرئيس - بطيبته المعروفة - يأخذهم في حضنه الواحد تلو الآخر يواسيهم ويشكر لهم تأثرهم بالأم الشعب المسكين ووقفهم مجواره في مأساة البطالة والإسكان ورغيف العيش وسلوك الشرطة وارتفاع الأسعار وغياب الدولة.

وربنا كرم، يلطف بنا وبهم، "وكل من له نبي يصلى عليه".